رسالة الكندى

فى

أنه [توجد] جواهرُ لا أجسام

موضوع هذه الرسالة — كما يؤخذ من العنوان لأول وهلة — هو إثبات أنه توجد جواهرُ ليست بأجسام ، يعنى جواهر غير مادية .

وهى قصيرة ، وفيها شىء من الاضطراب فى الأسلوب وفى سير الاستدلال . ويصفها المؤلف بأنها «قولٌ خيرىّ» ؛ ولذلك فهى أشبه بالحكاية .

ويبنى الكندى استدلاله على العلم الطبيعى ؛ فبعد أن يعرّف الجسمَ بأنه « العِظَمُ الآخذُ الأقدارَ الثلاثة » ، ويذكر لواحق الجوهر التى تميزه عن غيره ، يتطرق إلى الكلام فى « النعت » وأنه يكون : إمّا بالتواطؤ ، معبّراً عن الحد ؛ وإما بالاشتباه ، معبّراً عن التسمية الوصفية فقط .

ثم ينقل الكندى الفكرةَ الأساسية فى ذلك إلى معنى إطلاق صفة الحى على الأجسام ، وأنها تكون : إمّا على سبيل أنّ الحياةَ ذاتيةٌ جوهرية ، يفسد الجسمُ إذا فارقته ؛ وإما على سبيل أنها عرضية ، لا تأثير لمفارقتها له . ثم يرى أن من الأجسام ما لا تفسد جسميّتُه بمفارقة الحياة له ، فيستنتج من ذلك أن الحياة عارضةٌ فيه من غيره .

ولمّا كانت ماهيةُ الحياة ترجع إلى النفس ، فإن البحث ينتقل بطبيعة الحال ، إلى النفس ذاتها : هل هى جوهرٌ أم عرضٌ ؟ وإن كانت جوهراً ، فهل هى جسمٌ أم ليست جسما ؟

ويبدأ الكندى بأن يقول إن الأشياء إما أن تختلف بالأعيان ، وإما أن تختلف بالأسماء .

فالأشياء التى لا تختلف فى حدّ أعيانها ولا فى أسمائها لابد أن تكون طبيعتُها

واحدة . والشيء الواصفُ لشيء آخر والمعطيه حدَّه واسمَه لا بد أن يكون من طبيعة موصوفه : إن جوهراً فجوهرٌ ، وإن عرضاً فعرض ؛ وعكس ذلك صحيح . ولكن معطىَ الحدّ والاسم هو الجوهر ؛ وغير ذلك هو العرض .

ولما كانت صورةُ الشيء هى التى تجعله ما هو [1] — سواء أكان حسيّاً أم عقليا — وكان الجوهر ماهى بذاته [2] ، فالنفس هى — إذن — الصورة العقليةُ للكائن الحى ؛ فهى نوعه .

ولما كان الحىُّ جوهراً ، فنوعُ الجوهر جوهرٌ ؛ فالنفس إذن جوهر . ولما كانت هى جوهر النوع ، فليست جسما ؛ لأن الأنواع ليست أجساما ، بل هى الأشياء العامة التى تعمُّ أشخاصاً ، هى الجزئيات .

وينتهى الكندى من هذا إلى أن النفس جوهر ليس بجسم ، وأنه توجد جواهر ليست أجساما .

ثم يحاول المؤلف أن يثبت نفس القضية بطريقة أخرى :

النوع يعطى الأشخاصَ اسمَها وحدَّها ، فهو من طبيعتها ،

ولكنها جواهر محسوسة .

فهو : إما أن يكون جسماً ، أو غير جسم ،

ثم إنه يعُمّ أشخاصا كثيرة ،

فلا بد أن يكون فى كل شخص : إمّا بكليته وإما بجزء منه ،

والنوع — كالإنسان — مركب من أشياء : الحى ، والناطق والمائت ،

وإذن فهو مختلف الأجزاء نظراً لتركيبه ،

ولما كان النوع ليس من الأشياء المشتبهة الأجزاء ، فإنه إنْ كان بكماله فى أحد أشخاصه ، امتنع أن يكون بكماله فى آخر . وإنْ كان فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ منه — مع العلم بأن أشخاصَه لا نهاية لها بالقوة — فهو مركب مما لا نهاية له بالقوة ؛

---

(١) و (٢) راجع تعريف الصورة والجوهر فى رسالة الحدود ، وانظر فهرس المصطلحات

والتركيب لا يكون بالقوة ، لأنه شيء قد خرج إلى الفعل ؛

وإذن فلو كان من النوع فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ ، لانتهينا إلى تناقض .

هذا إلى أنه لو كان منه فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ ، لكان كلُّ جزء غير الآخر ؛ ولما كانت الأشخاص لا نهاية لها بالقوة — وكان من المستحيل أن يكون مركبا بالقوة — فهو ممكن أن يكون فيها وغير ممكن أن يكون فيها ؛ وهذا تناقض آخر .

وينتهى الكندى من كلامه فى هذا إلى أنه يستحيل أن يكون من النوع فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ غير الجزء الذى فى الآخر .

ولما كان النوع — لو كان جسما — لا يمكن أن يكون فى أشخاصه لا بكلِّه ولا بجزئه ، فهو إذن ليس جسما ، بل هو جوهر ليس بجسم .

وهنا تنتهى الرسالة ؛ ولا شك أن القارىء قد يتساءل : كيف يكون الجوهر الذى ليس جسما فى أشخاص كثيرة ؟ الواقع أنه ليس فى ذلك تناقض ، فكل ما فى الأمر أن شيئاً غير مادى يلابس شيئاً ماديا ؛ والإشكال فى كيفية هذه الملابسة ، والكيف ليس موضوعا لإدراك العقل ، بل هو موضوع حسٍّ ما .

وأغلب الظن أن الكندى يقصد بالجواهر غير الجسمية الجواهرَ الثوانى ، كما فهمها أرسطو ، والنفسَ وما فوقها من المجردات ؛ ولا شك أن قراءة رسالته التالية فى النفس وكذلك قراءة « كلام للكندى فى النفس » قد ينير المسألة بعض الشيء .

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله

رسالة يعقوب بن اسحق الكندى

فى

أنه [توجد][1] جواهرُ لا أجسام

أعانك اللهُ على درْك الحق ، ووفقك لسبيله !

فهمتُ ما سألتَ من رسم قول خبرى فى أن الجواهر لا[2] أجسام ؛ وهذا إنما يصحّ بعد علم الطبيعيات ، لتكون الأوائلُ المنطقية المستعملة فى الأشياء الطبيعية ظاهرة عند الباحث لذلك ؛ وقد رسمتُ من ذلك حسب ما رأيتُه لك كافيا ، على رسم مسألتك[3] أن نرسم لك من ذلك ؛ إذْ كان يحتاج إلى قولِ كثيرِ جُمَلٍ تقع[4] كالأسس[5] ، لحاجتها إلى كثرة القول المبين لها ، لسوْقك إلى منار الطريق إلى ما سألتَ و بالله التوفيق .

الدليل أن جوهراً[6] لا جسمَ له[7] يكون فى أجزاء العالم الطبيعى ، بعد أن ثبت[8] مائية[9] الجسم الذى هو أنه العِظَم الآخذ الأقدارَ الثلاثة[10] ،

---

(١) إضافة لمزيد البيان

(٢) هكذا فى الأصل — فلعله يقصد أن اسم الجواهر يكون لأشياء ليست أجساما ، وإلا فلعل الصواب : أن الجواهر لا أجسام ، بمعنى : أن الجواهر تكون لا أجساما (= غير مادية) .

(٣) فى الأصل مسلتك

(٤) غير منقوطة وفيها بعد القاف بره

(٥) هذه الكلمة غير واضحة تماما بسبب فساد فى ورق الأصل ، والقراءة لها اجتهادية

(٦) فى الأصل : جوهر .

(٧) هذه الكلمة — بحسب طريقة تعبير الكندى فى هذه الرسالة — لا ضرورة لها لأجل المعنى ؛ فلعلها زائدة من الناسخ

(٨) غير منقوطة ، فيمكن قطعها على نحو آخر ، بتغيير الضمير

(٩) يعنى ماهية (١٠) فى الأصل : الثلثة

أعنى الطول والعرض والعمق ؛ وبعد أن نعلم [١] نواحىَ الجوهر المميزةَ له من غيره ، التى هى أنه [٢] القائمُ بذاته ، الذى لا يحتاج فى ثباته إلى غيره ، الحاملَ للاختلاف ، وهو هو فى عينه لم يَتَبَدَّلْ ، المنعوتُ من جميع المقولات ؛ أو أنه [المنعوت] [٣] إما نعتاً متواطئا وإمّا نعتا متشابهاً : أما النعت المتواطىء [٤] فنعْتُ الناعت الذى يُعطى منعوتَه اسمَه وحدَّه معا ؛ وأما النعت المتشابه فنعت الناعت الذى لايعطى منعوته اسمه ولا حده : وإنْ أعطاه الاسم ، فإنما يعطيه باشتقاق ، لا على صحة الاسم ، وإن أوائله [٤م] لا تنعت شيئاً منه : فإن هذه [٥] إنْ كانت معلومةً مُقرّاً بها [٦] وجد جوهر لا جسم .

لأن الأجسام الحية لا تخلو [٧] من أن تكون حياتها [٨] تكون ذاتية فيها أو عرضية من غيرها ، أعني بالذاتى فى الشىء ، الذى إن فارق الشىء فسد ، والعرضية هى التى يمكن أن تفارق ما هى فيه ولا يفسد ؛ فإنْ كانت الحياةُ ذاتية فى الحى ، فإنها إذا فارقت الحىَّ فسد الحىُّ ؛ وكذلك نجد الأحياءَ إذا فارقتهم الحياة فسدوا . فأمّا الجسم الذى نجده حيا ولا نجده حيا ، وهو هو جسم ، فقد فارقتْهُ الحياةُ ، ولم تفسد جسميّتُه ؛

فتبين إذَنْ أن الحياةَ فى الجسم عرضٌ من غيره ؛

والذى نسمى به مائيةَ الحياة فى الجسم نفسٌ ؛ فينبغى أن نبحث عن النفس : أجوهرٌ هو [٩] أم عرض ؟

---

(١) غير منقوطة ، فيمكن نقطها على نحو آخر

(٢) راجع تعريف الجوهر فى ص ١٦٦ مما تقدم

(٣) زيادة يحتمها السياق

(٤) فى الأصل : أما نعتا متواطئا — وهو جائز لغة

(٤م) لعله يقصد أجزاء الاسم

(٥) يقصد فى الغالب كل ما قاله عن الجوهر

(٦) فى الأصل : مقروبا بها ، دون نقط — وقد صححتها بحسب مواضع كثيرة فى رسائل الكندى ، أنظر ص ١٠٨ ، ١٤٩ مثلا

(٧) فى الأصل : تخلوا ، شأن هذه الكلمة دائما

(٨) فى الأصل : حيوتها — على طريقة القدماء

(٩) هكذا فى الأصل — وقد تركتها ، لأنها تعود على المفهوم الذهنى

فإنْ كانت جوهراً : جسمٌ هى أم لا جسم ؟ فنقول :

إن الأشياء إنما تختلف إما فى أعيانها ، وإما فى أسمائها : فالشيئان اللذان[١] حدُّ أعيانهما واحدٌ ، ويُسَمَّيان باسم واحد ، لم يختلفا بالاسم ولا بأعيانهما ؛ إذْ لم[٢] يختلفا فى حدّ الأعيان ؛ والأشياء التى لم تختلف فى أعيانها طبيعتُها واحدةٌ ؛

فالشىء الواصف للشىء بإعطائه اسمَه وحدّه ، هو من طبيعة موصوفه : فإنْ كان موصوفُه جوهراً ، فهو جوهر ؛ وإنْ كان موصوفه عرضاً ، فهو عرضٌ ؛ والذى لا يصف موصوفه باسمه وحده ، ليس طبيعتُه طبيعةَ موصوفه ؛ وماطبيعته ليست طبيعةَ موصوفِه هو[٣] ، فهو غريبٌ فى موصوفه ؛ فالغريب فى موصوفه هو الذى نسميه عرضاً[٤] فى موصوفه ، لأنه ليس من ذاته ، بل عرض[٥] فيه ؛

والشىء الذى به الشىء هو ما هو ، هو صورة الشىء[٦] ، حسيّاً كان أو عقليا ؛

والجوهر ما هو بالنفس ؛ فالنفس إذَنْ صورة الحى العقلية ، فهى نوْعه ؛

فالحىّ جوهرٌ ، ونوع الجوهر جوهرٌ ؛

فإذن النفس جوهر ، وإذ[٧] هى جوهرٌ ، وهى جوهر النوع ، فهى لا جسم ؛ لأن النوع لا جسم ، بل العامّ الذى يعمّ أشخاصه التى هى أجسام ؛ إذ كانت أشخاص الحى أجساماً .

فإذن[٨] قد تبين أن النفس لا جسم ، وهى جوهر ؛

فإذن قد تبين أن من الجواهر أجساما ، ومنها لا أجساما[٩] ،

وأيضا فإنه إذا كان النوع يعطى أشخاصه اسمَه وحدّه[١٠] ، فهو فى طبيعة

---

(١) فى الأصل : الشيئين اللذين (٢) إذ لم غير واضحتين فى الأصل

(٣) يجوز أن تكون هذه الكلمة زائدة ، وإن كان يمكن أن تلحق بما قبلها

(٤) فى الأصل : عرض (٥) يمكن أن تكون هذه الكلمة فعلا أو اسما

(٦) راجع ص ١٦٦ ، وفهرس المصطلحات (٧) فى الأصل : وإذا

(٨) فى الأصل : فاذا (٩) فى الأصل : أجسام — ولا أجسام

(١٠) الضمير يعود على النوع

شخصه : وشخصه إنْ كان جوهراً ، فهو جوهر ؛ وإنْ كان عرضا فهو عرض ؛

والحى المحسوس جوهر ، وأنواعه جواهر ، إذْ النوع يعطى الجوهرَ اسمَه وحدَّه ؛

والنوع إما أنْ يكون جسما ، وإما أن يكون لا جسما[1] ؛

فإن كان النوع جسما ، والشخص جسم والنوع واحد باضطرار أو كثير ، والشخص كثير باضطرار ؛

فإنْ كان النوع واحداً يعمّ الكثيرَ ، وكان[2] جسما ، فهو فى كل واحد من أشخاصه إمّا بكليّته وإما بجزئه[3] ؛

والنوع مركبٌ من أشياء مختلفة ، كالإنسان الذى هو مركب من حى وناطق ومائت ؛ وكل واحد من جنسه وفصوله مركب أيضا مما يحدُّه ، أعنى مما يجتمع[4] حدُّه منه ؛

فإذنْ هو مختلف الأجزاء التى ركّب منها ،

فإذْ[5] النوع ليس من المشتبهة الأجزاء ، فإن كان النوع فى واحد من أشخاصه بكماله ، فكيف يمكن أن يكون فى آخر[6] بكماله ؟

وإن كانْ فى كل واحد من أشخاصه جزءٌ ، وأشخاصه بلا نهاية بالقوة — فإن أجزاءَه بلا نهاية بالقوة ؛

فإذنْ[7] هو مركب مما لا نهاية له بالقوة ؛

والتركيب لا يمكن أن تكون فيه القوةُ ، لأن التركيب قد خرج إلى الفعل ؛

فإذن[8] ليس يمكن أن يكون لا نهاية لأجزائه بالقوة ، وأجزاؤه بلا نهاية بالقوة —

---

(١) فى الأصل : لاجسم

(٢) فى الأصل : فكان (٣) فى الأصل : بجزوه

(٤) فى الأصل قريبة من أن تكون : يجمع

(٥) فى الأصل : فاذا — فلعلها : فإذ أو فإذن .

(٦) ليس على هذه الكلمة مدة — فيمكن أن تضبط على نحو آخر

(٧) و (٨) فى الأصل فإذا

وهذا خُلْف شنيع[١] ؛ فكل شخص من أشخاصه — إذْ كان فيه جزء غير جزء الآخر — ينفصل من جميع أشخاصه بجزء من أجزاء النوع ، وأشخاصه بلا نهاية بالقوة ،

وقد تقدم آنفا أنه محالٌ أنْ يكون تركيبُه من أجزاء بلا نهاية فى القوة : فإذَنْ[٢] فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ غير الجزء الذى فى الآخر من نوعه ، وليس يمكن أن يكون فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ من أجزاء نوعه — فهو ممكن لا ممكن — وهذا خلف قبيح جداً ؛ فإذن[٣] ليس يمكن أن يكون فى كل شخص من أشخاصه جزءٌ من نوعه غير الجزء الذى فى الآخر :

وقد تبين أنه ليس يمكن أن يكون بكله فى كل واحد من أشخاصه ، إذْ لا بكله ولا بجزئه يمكن أن يكون فى أشخاصه ، وهو جسم ،

فإذَنْ[٤] نوع الجوهر لا جسمٌ ، وهو جوهر ، كما قدمنا :

فبالاضطرار[٥] أن جواهرَ كثيرةً ولا أجسام[٦] :

وهذا فيما سألتَ كافٍ ، كفاك الله جميعَ المهمات ، ووقاك جميع أذى[٧] المؤلمات :

تمت الرسالة ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى محمد وآله أجمعين .

---

(١) غير منقوطة ، ويمكن بحسب الخط أن تقرأها : بشع ، ولكن هذا يخالف طريقة الكندى

(٢) و (٣) و (٤) فى الأصل : فإذا

(٥) فى الأصل : بالاضطرر

(٦) هكذا فى الأصل ، وقد تركتها

(٧) فى الأصل : اذا